

دفاع القرآن الكريم عن السنّة النبويّة الشبهات والردود

دفاع القرآن الكريم عن السنّة النبويّة الشبهات والردود

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

الأستاذ المساعد بقسم الشريعة- بالكلية الجامعية بترتبة- جامعة الطائف

تخصص التفسير وعلوم القرآن

m.baloush@tu.edu.sa

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً،،، أما بعد:

إن القرآن الكريم هو أعظم أبواب الهداية والبركة، وفي اتباعه النجاة والرحمة. قال تعالى :

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٥٥) الأنعام.

فالقرآن الكريم هو الآية العظمى، والمعجزة الكبرى الدالة على صدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه مرسل من قبل الله -تعالى-، ولا يزال المسلمون ينهلون من معين القرآن الصافي، ويستفيدون من معالم بيانه الوافي منذ نزوله إلى عصرنا الحاضر، فيستنبطون أحكامه، ويمثلون أوامره ونواهيه، ويرجعون عند الخلاف إليه، ويدافعون عما افتراه المفترون، وما دسه المستشرقون، والعمل على دحض شبههم ورد إفكهم بأسلوب علمي رصين يجمع بين الدليل والتعليل.

وعند التفكير والتدبر نقتبس من أنوار التنزيل وسراجة المبين ما يشتت ظلمات الأفكين، الذين قاسوا بعقولهم القاصرة مالا يقدرون عليه ولا سبيل لهم فيه؛ إذ كيف لزورق صغير أن يمخر في ثبج البحر العظيم؟! وفيما أوحاه الله -تعالى- على رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم وأنواع الحكم التي بيّنها بقوله الفصل، وبعمله المشرق، وبتقريره النير؛ فأضحت السُّنة بين الأنام واضحة وعلى رؤوس الجبال شامخة راسخة تعلقو ولا يعلى عليها، وقد سميتُ بحثي: (دفاع القرآن الكريم عن السُّنة النبوية الشبهات والردود).

دفاع القرآن الكريم عن السُّنة النبويَّة الشبهات والردود

والله تعالى أسأل التوفيق والسداد و صلى الله وسلم على خير العباد.
الباحث

• أهمية الموضوع :

- ١- إبراز هدايات القرآن الكريم والسنة النبوية؛ وذلك من خلال الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الذود عن حمى الرسالة وجلال الوحي.
- ٢- يعتبر الدفاع عن السنة النبوية من أهم أنواع الجهاد في سبيل الله؛ لأنه يوضح عظمة الوحي، ومدى الاستفادة منه في كل زمان ومكان .
- ٣- الردود العقلية لها قيمة في الموضوع فالعقل الصحيح لا يعارض النص الصريح؛ لأن الذي شرع الشرع وخلق العقل إله واحد سبحانه، ولكن إشكال الطاعنين في السُّنة أنهم انطلقوا من قياسات عقلية فاسدة؛ لذا كانت نتائجهم باطلة ومتناقضة، وما بُني على باطل فهو باطل.

• أهداف الموضوع:

- ١- يهدف الموضوع إلى بيان الوحي من خلال الرد على الشبه والافتراءات .
- ٢- الاستفادة من منهج القرآن الكريم والسُّنة المطهرة في كيفية عرض الشبهة ومن ثم ردها .

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

٣- توجيه أنظار الباحثين إلى زيادة الطلب والتنقيب عن هذا الجواهر الثمين، وأنه يحتاج إلى دراسات جادة فيه .

• منهج البحث :

سأسلك في -بجني بعون الله تعالى- المنهج التحليلي النقدي، وفيه أقوم بتحليل الشبهة بعد استقراءها ثم نقدها علمياً مؤيداً ذلك بالشواهد والأدلة .

• إجراءات البحث :

- ١- بيان الآيات الواردة في البحث ومواطنها في المصحف الشريف مكتوبة بالرسم العثماني-برواية حفص عن عاصم الكوفي-، ومتبوعة بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وأورد الآية في المتن؛ طلباً لتخفيف الحاشية .
- ٢- تخريج الأحاديث الواردة من مصادر كتب السنّة-باختصار-، وذلك بذكر المصدر، واسم الكتاب، والباب، ورقم الحديث، والصفحة والجزء، مع بيان درجة الحديث - باختصار- من خلال أقوال أئمة الفن، فإن كان الحديث ورد في الصحيحين أو أحدهما، فإني أكتفي بالعزو إليهما أو لأحدهما؛ لأن المقصود الاطمئنان على صحة الحديث وذلك متحقق بالعزو .
- ٣- توثيق كلام العلماء في الحاشية بذكر المرجع، ورقم الجزء والصفحة، وما عدا ذلك من معلومات الكتاب فإني أذكره بحسب الموجود والإمكان .

دفاع القرآن الكريم عن السُّنة النبوية الشبهات والردود

- ٤- إذا كان هناك إشكال أو تنبيه فيأني أكتبه في الحاشية من باب الاختصار وتخفيف المتن.
- ٥- عدم ترجمة الأعلام المذكورين في البحث؛ لأن حجم البحث لا يستوعب هذا .
- ٦- وثقتُ كلام صاحب الشبهة من مصادر ومراجع الرد؛ لأني في الغالب لا أجد كتباً لأشخاص معينين؛ ولأن أكثر شبهات بحثي صدرت عن فرق وطوائف وجماعات شتى، ويكفي - إن شاء الله - ذلك؛ لأن المقصود بيان المنهج الشرعي، وذلك متحقق في العرض والنقض^(١).

• خطة البحث:

سيكون البحث - إن شاء الله تعالى - في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وتفصيلها كالتالي:

(١) كما لم يذكر الله تعالى اسم عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في قصة الإفك، بل قال عنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شُرًا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أُمَّرِيٍّ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور، استفدتُ هذه المعلومة من فضلية الشيخ الأصولي الدكتور/ محمد المختار بن العلامة محمد الأمين الشنقطي صاحب أضواء البيان المعروف، والدكتور محمد المختار الذي أعنيه غير معالي الدكتور/ محمد بن محمد المختار الشنقطي صاحب شرح زاد المستقنع الفقيه المعروف.

المقدمة: وتشتمل على: (أهمية الموضوع، وأهداف الموضوع، ومنهج الباحث، وإجراءات البحث).

التمهيد، وفيه الحديث عن أهمية مفهوم السُّنة النبوية، وعلاقتها بالقرآن الكريم.

المبحث الأول: تعريف السُّنة، والشبهات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف السُّنة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الشبهات لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: دوافع الطاعنين في السُّنة النبوية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إبطال ارتباط السنة بالقرآن.

المطلب الثاني: عدم اعتبار السنة وحياً.

المبحث الثالث: شبهات منكري السنة النبوية، والردّ عليها، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ادعاء أن القرآن الكريم نهي عن اتباع السنة.

المطلب الثاني: زعم أن مصدر السنة ليس معصوماً.

المطلب الثالث: دعوى أن السنة النبوية مخالفة للعقل.

المطلب الرابع: دعوى أن السنة لا تستقل بالتشريع.

الخاتمة: وتشتمل على: (أهم النتائج التي تم التوصل إليها، والتوصيات).

دفاع القرآن الكريم عن السُّنة النبوية الشبهات والردود

التمهيد، وفيه الحديث عن أهمية مفهوم السُّنة النبوية، وعلاقتها بالقرآن الكريم: جاءت شريعة الله تعالى كاملة وصالحة لكل زمان ومكان، وهذه الشريعة هي كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتم أحدهما إلا بالآخر، وكلاهما وحي يوحى يجب على المسلمين اتباعه والعمل بما فيه.

قال الله مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا

لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ النساء.

قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): "ثم امتن عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال، وعصمته له، وما أنزل عليه من الكتاب، وهو القرآن، والحكمة، وهي السُّنة"^(١).

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٤١٠)، وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/٤٧٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٤٧٠).

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

ولا يعني استقلال السُّنَّة النبوية ببعض الأحكام أن ذلك يعارض ما في كتاب الله تعالى، بل إن ذلك يدل على تمام الموافقة ونوع من أنواع البيان؛ لأن السُّنَّة النبوية لها ثلاثة أحوال مع القرآن الكريم، وهي^(١):

١- أن تكون السُّنَّة مؤكدة لما في القرآن الكريم.

٢- أن تكون السُّنَّة شارحة ومبينة لما في القرآن الكريم وهذا الشرح والبيان على أربعة أنواع:

أ- تفصيل مجمل. ب- تقييد مطلق. ج- تخصيص عام. د- إزالة مشكل.

٣- أن تستقل السُّنَّة في تشريع حكم لم يرد في القرآن الكريم بنصه، ولكنه داخل فيما أمر الله به من طاعة رسولهم صلى الله عليه وسلم، مثل: تحريم الجمع بين المرأة وخالتها أو عمتها، ونحو ذلك^(٢).

قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾
النحل.

(١) انظر: الرسالة للإمام الشافعي (٢١-٣٥)، والعدة في أصول الفقه للقاضي أبو يعلى (١٣٥/١)،

وكشف الأسرار شرح أصول البزدوي لعبد العزيز البخاري (١٠٥/٣-١٠٧).

(٢) ونص الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُجْمَعُ بَيْنَ

الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا تُنكح المرأة على عمتها، برقم: ٥١٠٩، (١٢/٧).

دفاع القرآن الكريم عن السُّنة النبوية الشبهات والردود

قال القرطبي (ت ٦٧١هـ): ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ يعني: القرآن. ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

إِلَيْهِمْ ﴾ في هذا الكتاب من الأحكام والوعد والوعيد بقولك وفعلك، فالرسول صلى الله عليه

وسلم مبين عن الله - عز وجل - مراده مما أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة، وغير ذلك مما لم يُفصِّله^(١).

وقال سبحانه في سورة النحل أيضاً: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا

فِيهِ ۗ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

والسُّنة في اصطلاح المحدثين : هي ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة^(٢).

وهي وحي من الله كما قال تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَاضِلٌ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ

عَنِ الْمَوَىٰ ۝٣ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ النجم.

إذن فالقرآن الكريم والسُّنة النبوية أصلان الشريعة الإسلامية وكلاهما وحي من الله تعالى، و السُّنة النبوية بيان للقرآن الكريم يجب قبولها والعمل بما فيها.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٠٩).

(٢) انظر: فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث للسخاوي (١/١٣١)، وتحرير علوم الحديث للجديع (١/١٧).

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

قال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الحشر: ٧.

المبحث الأول: تعريف السنّة، والشبهات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف السنّة لغة واصطلاحاً:

• تعريف السنّة في اللغة:

أصل السنّة مأخوذ من مادة (سَنَنَ) أو (سَنَنَ) ويراد بها في لغة العرب عدة معان^(١):

١- الجريان والاطراد في سهولة، ومنه قولهم: سَنَنْتُ الْمَاءَ عَلَى وَجْهِي أَسْنُهُ سَنًّا، إِذَا أُرْسَلَتْهُ إِرْسَالًا، والماء يجري ويُصب بسهولة وجريان.

٢- الحدّ والإصقال، ومنه سُمِّي الْمِسْنُ مِسْنًا؛ لِأَنَّ الْحَدِيدَ يُسَنَّ عَلَيْهِ، أَي: يُحَدَّ عَلَيْهِ، وَيُقَال: لِلَّذِي يَسِيلُ عِنْدَ الْحَكِّ: سَنِين.

٣- الوضع والابتداء، ومنه قولهم: وَسَنَّ فُلَانٌ طَرِيقًا مِنَ الْحَيْرِ يَسُنُّهُ: إِذَا ابْتَدَأَ أَمْرًا مِنَ الْبِرِّ لَمْ يَعْرِفْهُ قَوْمُهُ، فَاسْتَنُوا بِهِ وَسَلَكُوهُ وَهُوَ يَسُنُّ الطَّرِيقَ سَنًّا وَسَنًّا.

٤- الطريقة والسيرة، ومنها سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي: سنته، والسنّة الطريقة المستقيمة المحمودة، ولذلك قيل: فُلَانٌ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ، وَسَنَنْتُ لَكُمْ سُنَّةً فَاتَّبِعُوهَا. وتقول: جَاءَتْ الرِّيحُ سَنَائِنَ، إِذَا جَاءَتْ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ.

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢١٠/١٢)، والصاحح للجوهري (٢١٣٨/٥)، ومقاييس اللغة لابن

فارس (٦٠/٣)، وتاج العروس للزبيدي (٢٢٩/٣٥-٢٣١).

دفاع القرآن الكريم عن السُّنة النبوية الشبهات والردود

وقد وردت في القرآن الكريم في مواضع متعددة بمعنى العادة المستمرة والطريقة المتبعة فقال تعالى: ﴿

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴿١٣٧﴾ قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ

رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ الإسراء. وقال تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ

تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ الفتح (١).

• تعريف السُّنة اصطلاحاً:

اختلف العلماء في تعريف السُّنة اصطلاحاً بحسب الفن الذي طُبِق فيه كما يلي:

١- فعَرَفَ المحدثون السُّنة: بأنها ما أُضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة، ويطلقون عليه مصطلح "المرفوع" (٢).

٢- وعَرَفَ الأصوليون السُّنة: "ما ترجح جانب وجوده على جانب عدمه ترجيحاً ليس معه المنع من النقيض، أو ما صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم من الأقوال، والأفعال والتقرير، والهَم، وهذا الأخير لم يذكره الأصوليون، ولكن استعمله الشافعي في الاستدلال" (٣).

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢١٣/١٢)، وانظر: كتابة السنة النبوية لأحمد بن هاشم (٥).

(٢) انظر: فتح الباقي بشرح ألفية العراقي للأنصاري (١٧٢/١)، و شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل

الأثر للقاري (١٥٦)، وإسعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدُرَر في علم الأثر لمحمد علي آدم (١٤/١).

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٦/٦)، وشرح الكوكب المنير لابن النجار (١٦٦/٢).

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

أو يقال: "ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن من قول، أو فعل، أو تقرير مما يخص الأحكام التشريعية"^(١).

٣- وعرف الفقهاء السُّنَّة: ما ليس بواجب، أو ما رسم ليحتذى استحباباً، أو ما يثاب الفاعل ولا يعاقب التارك، ويسمى: مستحباً أو مندوباً^(٢).

وتُلاحظ أن هذه التعريفات عُرِّفت في مصطلحات خاصة، والذي نريده في بحثنا هو كل ما سبق؛ لأننا نريد سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم بمعناها العام وما يستفاد منها في إثبات حجيتها على من أنكرها، وأنها مصدر تشريعي مع القرآن الكريم، كما كان من دأب بعض العلماء أن يسمي بعض كتبه أو بعضاً منها بـ(السُّنَّة) في إنباتها، والرّد على من خالفها من أهل البدع^(٣).

المطلب الثاني: تعريف الشبهات لغة واصطلاحاً^(٤):

(١) المُهَدَّبُ في عِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ الْمُقَارِنِ لِلأستاذ الدكتور عبد الكريم النملة (٦٣٤/٢)، وانظر: شرح مختصر الأصول من علم الأصول لحمود المنياوي (٧٥).

(٢) انظر: العدة في أصول الفقه للقاضي أبو يعلى (١٦٦/١)، والمدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية لعلي جمعة (٦٩).

(٣) انظر على سبيل المثال كتاب: أصول السنة للإمام أحمد، وصريح السنة للطبري، وأبواب السنة من سنن ابن ماجه (١٧٥-٣/١).

(٤) ومرادى من تعريف الشبهات لغة واصطلاحاً؛ لأن منكري السنة النبوية مدخلهم الأصلي هو إلقاء الشبهات والاستدلال لها؛ لذلك عرفتها، ولأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

دفاع القرآن الكريم عن السُّنة النبويَّة الشَّبَهات والردود

• الشبّهات في اللغة :

أصل الشبّهات مأخوذ من مادة: (شَبَّهَ)، ولها أربعة معان :

- ١- الإشكال .
- ٢- الاختلاط.
- ٣- اللبس.
- ٤- المساواة والمماثلة^(١).

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): " (شَبَّهَ) الشَّيْنُ وَالْبَاءُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَشَابُهِ الشَّيْءِ وَتَشَاكُلِهِ لَوْناً وَوَضْعًا. يُقَالُ شَبَّهْتُ وَشَبَّهْتُ وَشَبَّيْتُ. وَالشَّبَّهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ: الَّذِي يُشْبِهُ الذَّهَبَ. وَالْمُشَبَّهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ: الْمُشْكِلَاتُ. وَاشْتَبَّهَ الْأَمْرَانِ، إِذَا أَشْكَلَا"^(٢).

وقال الزمخشري(ت ٥٣٨هـ): " واشتبهت الأمور وتشابهت: التبتت لإشابه بعضها بعضاً. وفي القرآن المحكم والمتشابه. وشبه عليه الأمر: لُبَّسَ عليه، وإياك والمشبهات: الأمور المشكلات. ووقع في الشبهة والشبهات"^(٣).

(١) انظر: كتاب العين، للخليل بن أحمد (٥٨/٦)، والصحاح للجوهري (٢٢٣٦/٦)، والفروق اللغوية، للعسكري (١٥٣)، وتاج العروس للزبيدي (٤١١/٣٦).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٢٤٣/٣).

(٣) أساس البلاغة للزمخشري (٤٩٣/١).

• الشبهات في الاصطلاح :

عرّف بعض العلماء الشبهات في الاصطلاح والاستعمال الفقهي^(١)، والأصولي^(٢)، ومثّلوا عليهما بأمثلة تختص بهذين التخصصين، وبنوا على ذلك مسائل عديدة .

وكل من الفقهاء والأصوليين أخذوا تعريف الشبهة عندهم من المعنى اللغوي وربطوه بما يريدون إيضاحه من القول فيه بحسب مسائل الفن الذي يخصه .

قال الجرجاني(ت١١٦هـ): "الشبهة: هو ما لم يتيقن كونه حراماً أو حلالاً"^(٣).

وقال التهانوي(بعد١١٨٥هـ): " الشّبهة اسم من الاشتباه، وهي ما بين الحلال والحرام والخطأ والصّواب، وتشبه الثابت وليس بثابت، وتشبه الدليل وليست بدليل كأدلة المبتدعين"^(٤).

(١) انظر: مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية(١/١٤٠)، والقاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، د. سعدي أبو حبيب(١٨٩-١٩٠)، وموسوعة القواعد الفقهية، لمحمد صدقي الغزي (٣/٩٧-٩٨)، والشبهات وأثرها في العقوبة الجنائية في الفقه الإسلامي مقارناً بالقانون، للحفناوي(٢٤٠-٢٥٣).

(٢) انظر: التلخيص في أصول الفقه للجويني(١/١٢٧)، وقواطع الأدلة في الأصول للسمعاني(٢/١٧٠)، وإيضاح المحصول من برهان الأصول للمازري، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام، لعبد العزيز بن عبد السلام(٢/١٠٦-١٠٩)، وإرشاد الفحول للشوكاني(٢/١٩٣-١٩٤)، والبدعة الشرعية، لمحمود المنيأوي (٩٣).

(٣) التعريفات (١٢٤).

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم -بتصرف يسير-.

دفاع القرآن الكريم عن السُّنة النبوية الشبهات والردود

وأستطيع أن أعرف الشبهات بتعريف يرتبط بمعناه اللغوي، وما أثير حوله من مسائل، فأقول -وبالله التوفيق- .

الشبهات: "هي مجموعة من التشكيكات التي تقوم على خلط الحق بالباطل وتلبسه به؛ لقصد توقيع السامع في الإشكال؛ لاشتباه الأمر عليه".

شرح مفردات التعريف الاصطلاحي :

فقولي: "هي مجموعة التشكيكات".

يقصد به: أن غالب هذه الشبهات تكون كلاماً يكتب في الكتب، وتدار على الألسنة.

تتضمن على: "التشكيكات" قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلَّ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلَّ

لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ ﴿٨﴾ ص.

وقولي: "التي تقوم على خلط الحق بالباطل وتلبسه به؛ لقصد توقيع السامع في الإشكال؛ لاشتباه الأمر عليه".

يراد به: أن هذه التشكيكات تقوم على أساس الخلط والتلبيس؛ لإيقاع السامع في الأمور المشككة التي تؤدي إلى حيرته وإغوائه عن سواء السبيل؛ لأن الشبهات تشابهت في جنس الإشكال وتمثلت في الإضلال حتى أصبح لها -عند الجاهل- مكان .

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

ولهذا جاء النهي عن التلبيس، فخطاب الله بني إسرائيل بقوله: ﴿وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْنُوهُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ (٤٣) البقرة.

ويقصد أصحاب الشبهات الطعن في أصل الدّين؛ لإسقاطه وإنكاره بطريقة بث الشبهات والتأصيل لها. كما أخبر الله عن اليهود وكتماهم لصفة النبي صلى الله عليه وسلم وتحريفهم للكلم وطعنهم في الدين: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعَيْنَا لِيَاً بِالسِّنَنِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤٦) النساء (١).

المبحث الثاني: دوافع الطاعنين في السنة النبوية، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: إبطال ارتباط السنة بالقرآن:

يعمد كثير من الطاعنين في الدّين من المستشرقين واليهود والنصارى إلى فك ارتباط السنة النبوية بالقرآن الكريم، ظناً منهم أن الدخول من باب السنة النبوية أسهل؛ لكونها تحتوي على مرويات كثيرة.

منها الضعيف والصحيح كما أن الحديث ربما يروى بالمعنى وبأكثر من رواية واحدة (٢).

(١) انظر تفسير الآية في: معالم التنزيل للبغوي (٢/٢٣٠)، والمحرم الوجيز لابن عطية (٢/٦٢).

(٢) انظر: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين للدكتور محمد أبوشهبة (٣٤-٣٨).

دفاع القرآن الكريم عن السنّة النبويّة الشبهات والردود

وهذا الدافع الذي ينطلقون منه أعني: قطع أواصر العروة الوثقى بين السنة النبوية والقرآن الكريم هو عمدة شبههم وعليها تتفرع شبه كثيرة:

كشبهات القرآنيين، وشبهة أن السنة النبوية ليست محفوظة، وأنها تصلح في زمن النبوة فقط! وأن الاهتمام بالسنة النبوية يُفرق الأمة ولا يوحدتها، وأن جمع الناس عليها؛ يسبب الاختلاف؛ لأنها لم تُدون إلا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم (١).

وهؤلاء يريدون إسقاط الدين ببث روح الفرقة بين كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، ومنشأ هذا الدافع هو الحسد وكراهية انتشار الدين كما قال سبحانه عنهم:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ البقرة: ١٠٩.

قال الرازي (ت ٦٠٦ هـ) في تفسير قوله جل وعلا:

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَنْ يُثَمَّرَ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢) التوبة: ٣٢

"اعلم أن المقصود منه بيان نوع من الأفعال القبيحة الصادرة عن رؤساء اليهود والنصارى، وهو سعيهم في إبطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وجدهم في إخفاء الدلائل الدالة على صحة شرعه وقوة دينه، والمراد من النور: الدلائل الدالة على صحة نبوته، وهي أمور كثيرة جداً. أحدها: المعجزات القاهرة التي ظهرت على يده..."

(١) انظر: شبهات القرآنيين لعثمان معلم (٣٢)، فقد ذكر ثمانية شبهات.

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

وثانيها: القرآن العظيم الذي ظهر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مع أنه من أول عمره إلى آخره ما تعلم وما طالع وما استفاد وما نظر في كتاب، وذلك من أعظم المعجزات... ثم إنهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة، وأنواع كيدهم ومكرهم، أرادوا إبطال هذه الدلائل، فكان هذا جارياً مجرى من يريد إبطال نور الشمس بسبب أن ينفخ فيها^(١). وإن هؤلاء الطاعنين والمشككين لهم أهداف وأغراض من فصل ارتباط السنة النبوية بالقرآن الكريم، وهي:

- ١- التشكيك في عقيدة المسلمين وإلغاء ثوابت دينهم.
 - ٢- إسقاط حضارة ومجد الأمة الإسلامية وازدهار تاريخها.
 - ٣- إضعاف اللغة العربية ومحولة تهميشها، وأنه لغة صعبة لا يحتاجها الناس اليوم، ويعسر تفسير النصوص الشرعية بها؛ لذلك ما استطاع رواة الحديث أدائها باللفظ، فلذا أذوها بالمعنى.
 - ٤- أن الفقه الإسلامي مبني على فهم القرآن والسنة؛ لذلك يحاولون تشتيته وأنه مجرد آراء اعتبارية لا تُبنى على دليل؛ وبما أن الفقيه يستدل كثيراً في مسائله بتفاصيل جاءت في السُّنَّة فهم يُضعفون هذا المصدر حتى لا يتسنى لأهل العلم والمسلمين أن يستدلوا بالسُّنَّة^(٢).
- ونردّ على هؤلاء بوجهين^(٣):

(١) مفاتيح الغيب (١٦/٣٢).

(٢) انظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي لعلي جريشه، ومحمد الزبيق (٢١-٢٢)، والاستشراق والتبشير للأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند، فقد فصّل في موقف المستشرقين من النبي والقرآن (٢٩-٣٠).

(٣) والردود عليهم كثيرة، ولكن مقصدي من الردّ هو بيان باطلهم في فصل السنة النبوية عن القرآن الكريم.

دفاع القرآن الكريم عن السُّنة النبوية الشبهات والردود

الوجه الأول: إن كنتم تزعمون السنة النبوية لا ارتباط لها بالقرآن، فكيف تفسرون النصوص القرآنية

الصريحة في التأسى بالنبى صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۗ﴾ (الأحزاب).

والتأسى والافتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم يلزم منه لازم عقلي قوي وهو وجود نبى يُتأسى به وله

أقوال وأفعال وسيرة نستطيع من خلالها أن نسير ونقتدي بها وإلا كان التأسى ليس له معنى؛ إذ

كيف يحثنا الله بالتأسى برسوله ثم لا توجد سُنَّة؟!

ولو قالوا: إن التأسى في زمنه فقط.

قلنا لهم: الآية دلت أن من يرجو الله واليوم الآخر هو الذي يتأسى، وكل المسلمين في كل عصر

ومصر يرجون الله واليوم الآخر ويتبعون نبى صلى الله عليه وسلم.

الوجه الثاني: أنهم قاسوا سُنَّة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بما جاء في كتبهم في التوراة والإنجيل،

فأجازوا فيها التحريف والتبديل، ولم يعلموا أن الله قيظ للأمة من يحفظ السُنَّة النبوية ويضبطها

ويجمعها حتى بلغت آية في الجمال والكمال والجلال من إبان الرسالة إلى عصرنا الحاضر، ثم إن قوله

تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۗ﴾ (الحجر^(١)).

(١) انظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل لصالح الهاشمي (٧٣٠/٢)، وإظهار الحق لمحمد رحمت الله (٤٢٧/٢).

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

ليدل باللزوم العقلي أن السنة النبوية محفوظة بحفظ الله للقرآن؛ لأنها الشارحة والمبينة له^(١). قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) في تفسير الآية: " في هذا مع التنويه بشأن القرآن إغاضة للمشركين بأن أمر هذا الدين سيتم وينتشر القرآن ويبقى على ممر الأزمان. وهذا من التحدي ليكون هذا الكلام كالدليل على أن القرآن منزل من عند الله آية على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم"^(٢).

(١) انظر: الرّوضُ الباسمُ في الذبِّ عن سُنَّةِ أبي القاسم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لابن الوزير (١/٦٤)، ومنهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة لأحمد عسيري (٤٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٤/٢٢).

دفاع القرآن الكريم عن السُّنة النبوية الشبهات والردود

المطلب الثاني: عدم اعتبار السُّنة حياً:

يركز منكرو السنة النبوية إلى عدم اعتبار السُّنة حياً من الله تعالى وغايتهم من ذلك أمران^(١):

١- قطع العلاقة بين الله تعالى وبين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم^(٢).

٢- إنكار رسالة النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها من قبيل الاجتهاد والكلام البشري العادي القابل للرد والنقد.

وعمداً أدلتهم ما جاء في صدر سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا

وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ (٤)﴾ النجم. وأن مرجع الضمير في قوله: "هو" عائد إلى القرآن وليس إلى ما ينطق به النبي صلى الله عليه وسلم من السنة.

(١) انظر: دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه لإسحاق السعدي (٥٣٨/٢)، وتحافت العلمانية في

الصحافة العربية لسالم البهنساوي (١٨٣)، وأخطاء وأوهام في أضخم مشروع تعسفي لهدم السنة لعبد العظيم المطعني (٦٦).

(٢) وقد بحثت بنفسي وحصرت بعض المواضع في القرآن الكريم التي تدل على قوة الارتباط بين الله -جل جلاله- وبين

رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فوجدت (٢٩٤) موضعاً في القرآن أمر الله نبيه بقوله: ﴿قُلْ ۖ﴾، و(١٨) موضع أمر الله نبيه

بقوله: ﴿قُلْ ۖ﴾، و(٤٤) موضعاً أراد الله به نبيه بقوله: ﴿عَلَيْكَ ۖ﴾، ولولا أن المقام هنا مقام إشارة لبسطت في بيان

ذلك ما يزيد على مئات الصفحات؛ لأن فيما حصرته من مواضع تبين لي شدة دفاع الله تعالى عن نبيه -صلى الله عليه

وسلم-، وأن الدفاع عن الوحي وجناب الرسالة من مقاصد القرآن الكريم الأساسية الكبرى والله الحمد والمنة.

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

قال الإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ): ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أي ما نطقه إلا وحي يوحى، وهذا أحسن من قول من جعل الضمير عائداً إلى القرآن فإنه يعم نطقه بالقرآن والسنة وإن كليهما وحي يوحى...^(١).

وقال الدكتور عبد العظيم المطعني (ت ١٤٢٩هـ): "فرّقوا بين الضمير المستتر في "ينطق" وهو فاعل النطق فجعلوه للنبي أو أبوه على دلالة الظاهرة - وهذا حق لا نزاع فيه - وبين الضمير الظاهر المنفصل في ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(٤) النجم. فجعلوا الضمير (هو) عائداً على القرآن وحده.

وهذا تعسف محض؛ لأن القرآن لم يرد له ذكر هنا حتى يعود عليه الضمير، ولأن لهذا الضمير مرجعاً في الآية قبله، وهو "النطق" المفهوم من الفعل المضارع "ينطق" أي: وما نطقه صلى الله عليه وسلم إلا وحي يوحى^(٢).

ومن الأدلة الصريحة على رد دعواهم ما جاء في سورة الشورى في ذكر أنواع الوحي في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ

بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ

قال الطبري (ت ٣١٠هـ): "وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحياً يوحى الله إليه كيف شاء، أو إلهاماً وإما غيره... ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ يقول: فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل

(١) التبيان في أقسام القرآن (٢٤٧).

(٢) الشبهات الثلاثون المثارة (٧٩).

دفاع القرآن الكريم عن السنّة النبويّة الشبهات والردود

إليه بإذن ربه ما يشاء، يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهي، وغير ذلك من الرسالة والوحي" (١).

إذن فالرسالة النبوية تدخل فيما أوحاه الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم.

ثم بيّن الله تعالى في الآية التي تليها أن المراد بالوحي القرآن فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الشورى: ٥٢. والوحي القرآني من أمر الله تعالى أنزله بواسطة جبريل -عليه السلام- ثم قال

بعدها في نهاية الآية: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢)

وهداية النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته إلى الصراط المستقيم تكون بالوحي القرآني وبالوحي

النبوي. قال الرازي (ت ٦٠٦ هـ): "ثم قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فبين تعالى أنه كما أن القرآن يهدي فكذلك الرسول يهدي" (٢).

ومن الأدلة النبوية التي تثبت وحدة الكتاب والسنة وأحما وحي من الله تعالى أنزلت لهداية الناس والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه:

ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما، أهما قالا: إِنَّ رَجُلًا مِّنَ الْأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُنشِدُكَ اللَّهَ إِلَّا قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ الْحَضَمُ الْأَخَرُ: وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، نَعَمْ فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَدْنُ

(١) جامع البيان للطبري (٢١/٥٥٨).

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٢٧/٦١٥)، وانظر: معاني القرآن للزجاج (٤/٤٠٤).

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

لي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ، قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيْقًا عَلَيَّ هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، وَإِلَيَّ أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَيَّ ابْنِي الرَّجْمَ، فَأَفْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ، وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَيَّ ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ وَتَعْرِيْبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَيَّ امْرَأَةَ هَذَا الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، الْوَلِيدَةُ وَالْعَنَمُ رَدٌّ، وَعَلَيَّ ابْنُكَ جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَعْرِيْبُ عَامٍ، اَعْدُ يَا أُتَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمُهَا»...^(١).

قال القسطلاني (ت ٩٢٣هـ): " (لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ) إشارة إلى أن السنة يطلق عليها كتاب

الله؛ لأنها بوحيه وتقديره قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾

النجم"^(٢).

وحكم رجم الثيب، وتعريب البكر لم يرد صريحاً في كتاب الله^(٣)؛ فدل هذا أن السنة النبوية يتحاكم إليها عند الخلاف وإقامة الحدود، ولو كانت غير وحي، فكيف يسميها النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الله ويقضي بما ليس في كتاب الله؟

إذن فكل ما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم فهو من حكم الله، وقضائه ثم إن القرآن الكريم قد تضافرت الأدلة فيه على وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم طاعة مطلقة؛ فدل هذا أن ما

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط التي لا تحل في الحدود، برقم: ٢٧٢٤، (٣/١٩١).

(٢) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري (٤٥١/٨).

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٥١/٨)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (٢٣/١٧٠).

دفاع القرآن الكريم عن السنّة النبويّة الشبهات والردود

قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من قضاء الله، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاعة الله تعالى.

قال جل وعلا: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (٨٠) النساء.

والذي يريد أن يفصل بين القرآن الكريم، وبين سنّة النبي صلى الله عليه وسلم كالذي يريد أن يفصل بين اللحم والعظم، أو بين الرأس والجسد، فأنى تكون له حياة بعد ذلك؟! قال ابن حزم (ت ٥٦٤ هـ): "فصح أن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كله في الدين وحي من عند الله، لا شك في ذلك ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل..."(١).

(١) الإحكام في أصول الأحكام (١/١٢١).

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

المبحث الثالث: شبهات منكري السنة النبوية، والردّ عليها، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ادعاء أن القرآن الكريم نهي عن اتباع السنة:

هذه الشبهة من اختراعات زنادقة العصر، وقد ردها شردمة منهم في مصر، من خلال الصحف الجديدة^(١).

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ

الأعراف. ﴿٣﴾

ووجه الدلالة: أن الله أمر باتباع ما أنزله وهو القرآن، ونهى عن اتباع غيره ويدخل في ذلك السنة النبوية.

الرد على هذه الشبهة:

يكون الرد على هذه الشبهة من ثلاثة وجوه كما يلي^(٢):

الوجه الأول: أن الاستدلال بحصر ما أنزله الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم في القرآن

الكريم استدلال باطل؛ لأن السنة النبوية مما أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم.

(١) ذكرها الدكتور عبد العظيم المطعني في كتابه الشبهات الثلاثون (ص ٢٩)، ولم يصرح في نسبها لأحد بعينه؛ وإنما ذكرتها في بحثي؛ لأن لهذه الشبهة تفرعات عند القرآنيين؛ ولأن الدكتور عبد العظيم لم يفصل في الرد عليها ولكنه ردها بأسلوب مجمل جداً.

(٢) والمتأمل في هذه الردود يجد أن: الرد الأول والثاني من القرآن الكريم؛ لأن أهل الشبهة استدلوا من القرآن الكريم، وأما الرد الثالث فكان عقلياً؛ لأن أهل الشبهة قاسوا شبهتهم باستدلال عقلي باطل؛ لذا ناسب أن نرد عليهم بقياس عقلي صحيح.

دفاع القرآن الكريم عن السنّة النبويّة الشبهات والردود

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١١٣) النساء.

قال النسفي (ت ٧١٠هـ): ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ والسنة ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من أمور الدين والشرائع^(١).

وقال أبو حيان (ت ٧٤٥هـ): "وَالْمَعْنَى: إِنَّ مَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَأَهْلَهُ لِذَلِكَ، وَأَمَرَهُ بتبليغ ذلك، هو معصوم من الوقوع في الضلال والشبه"^(٢).

وفسر ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) آية الأعراف بمعنى آية النساء مباشرة- من دون أن يذكرها- مما يدل أن معنى ما أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يتضمن السنة النبوية ويدخل فيها دخولاً أولياً، فقال: "ففرض اتباع ما أنزله من الكتاب والحكمة وحظر اتباع أحد من دونه"^(٣).

الوجه الثاني: أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ الأعراف: ٣.

"أي: لا تتولوا من عدل عن دين الحق، وكل من ارتضى مذهباً فهو ولي أهل المذهب"^(٤).

والنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ولا يرضى بغير دين الله تعالى شريعة ومنهاجاً، فكيف يرسله الله ولا يجعل له ولاية وطاعة!؟

(١) مدارك التنزيل (٣٩٥/١).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٦١/٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٦٧/١٩).

(٤) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (١٠١/٢).

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ

﴿ ٥٥ ﴾ المائدة.

قال ابن عرفة المالكي (ت ٨٠٣) - في تفسير الآية - : "هذا عندي إشارة إلى الاستدلال بالقرآن ثم بالسنّة ثم بالإجماع" (١).

قلتُ: استدلال ابن عرفة - هنا - بدلالة الإشارة على معنى بديع، وهو أن الآية دلت على لازم عقلي لا ينفك عن معنى الولاية لله - جل جلاله - بمعنى: الاستدلال والأخذ بكتابه؛ لأن كلام الله دليل عن الله وعن شرعه.

ومعنى الولاية لرسوله صلى الله عليه وسلم: الاستدلال والتمسك بسنته صلى الله عليه وسلم والحدز من مخالفته.

ومن لازم ولاية المؤمنين: أن يكون إجماعهم حجة؛ لأن من اجتمعوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة كانوا أمة عدلا لا تجتمع على ضلالة.

ويؤيد هذا الاستدلال قوله تعالى: ﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن نَّزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة (١١٤/٢).

دفاع القرآن الكريم عن السُّنة النبويَّة الشُّبهات والردود

﴿٥٩﴾ النساء. فإن من لوازم طاعة الله الأخذ بكتابه والرد إليه فيما اختلف فيه، ومن لوازم طاعة

رسوله صلى الله عليه وسلم الرد إليه في حياته والرد إلى سنته بعد مماته.

والرد إلى الكتاب والسنة حالة التنازع دليل على حجية إجماع المؤمنين في حالة عدم التنازع.

الوجه الثالث: هل يعقل أن ينزل الله تعالى كتاباً عظيماً على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم يكون الاتباع للقرآن وحده دون أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الذي أرسله الله به ليبين ويشرحه بقوله وفعله وتقديره وإلا كان كتاباً جامداً مغلقاً لا يستطيع أحد فهمه، وكل سبأوله بما يريد وحسبما يريد، ثم ما الفائدة بأن ينزل الله كتاباً على رسول يرسله بعينه ثم لا يكون له بيان فيه، وهذا لا يصح في عادة الملوك ورسولهم، فكيف يليق بملك الملوك وخير الناس - والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم - .
"وإذا قال القائل الرسول صلى الله عليه وسلم إنما عرف صدقه بأدلة عقلية، وأنه لا بد له من الأدلة العقلية، فهذا صحيح لكن تلك الأدلة العقلية التي بها يعرف صدق الرسل هي مما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأرشد إليها القرآن على أحسن الوجوه وأكملها، فالأدلة العقلية التي تستحق أن تسمى أدلة عقلية على المطالب العالية الإلهية، وهي الإيمان بالرب تعالى والإيمان بكتبه ورسوله والإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح الذي به يسعد الناس وينجون من العذاب في الدنيا والآخرة قد دل عليه القرآن أحسن دلالة وبينه أحسن بيان"^(١).

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية (٥٢٨/٨).

المطلب الثاني: زعم أن مصدر السنة ليس معصوماً:

قال بهذه الشبهة جماعة من المستشرقين ومن تبعهم كتوفيق حكيم، والروافض الشيعة^(١) وكل له غرضه من هذا الطعن: فالمستشرقون يريدون نقض بنیان الدین والقدح في أصالة سنة نبي الله الكريم صلى الله عليه وسلم، وأن ليس له عصمة ولا شأن، ومثله كمثل باقي الكلام البشري الذي يصح فيه الخطأ والصواب والزلل والنسيان ونحو ذلك. أما الرافضة الشيعة فغرضهم تحديد العصمة في أئمتهم وهميش ما سواها بتأويلات باطلة ليس له مسوغ شرعي ولا عقلي ولا لغوي.

وعمداً أدلتهم الحديث الذي ورد في قصة تلقيح النخل، وهو: عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ أَصْوَاتًا، فَقَالَ: "مَا هَذَا الصَّوْتُ؟" قَالُوا: النَّخْلُ يُأْبَرُونَهُ، فَقَالَ: "لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا لَصَلَحَ" فَلَمْ يُأْبَرُوا عَامِيذٍ، فَصَارَ شَيْصًا، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "إِنْ كَانَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ فَشَأْنُكُمْ بِهِ، وَإِنْ كَانَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَإِنِّي"^(٢).

(١) انظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، جمع وترتيب: أبو التراب سيد بن حسين العفاني (١٩٩/١)، وموقف الخميني من الشيعة والتشيع لمحمد سعد ناصح (٧)، والشبهات الثلاثون للدكتور عبد العظيم المطعني (٩١).

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، الرهون، باب تلقح النخل، برقم: ٢٤٧١، (٥٢٧/٣)، قال محققه: إسناده صحيح، وأخرجه مسلم برقم: (٢٣٦٣) من طريق حماد بن سلمة، بهذا الإسناد، وهو في "مسند أحمد" برقم: (١٢٥٤٤) و (٢٤٩٢٠)، و "صحيح ابن حبان" برقم: (٢٢).

دفاع القرآن الكريم عن السُّنة النبوية الشبهات والردود

ووجه الدلالة منه: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخطأ في تقدير تلقيح النخل بدليل أن رأيه لم يصلح في النخل، وهذا دليل على بشريته وخطأه. إذن فأين العصمة في أقواله وأفعاله؟
الرد على هذه الشبهة:

يتجلى الرد عليهم من أربعة أوجه كما يلي:

الوجه الأول: أن الحديث -المذكور سابقاً- حجة عليهم لا لهم؛ إذ أن الحديث دل بمنطوقه الصريح من قول النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه المسألة تتعلق بأمر الدنيا وليس الدين. قال النووي (ت ٦٧٦هـ): "قال العلماء قوله: صلى الله عليه وسلم "من رأيتي". أي: في أمر الدنيا ومعايشها لا على التشريع، فأما ما قاله باجتهاده صلى الله عليه وسلم ورآه شرعاً يجب العمل به، وليس إبار النخل من هذا النوع بل من النوع المذكور قبله مع أن لفظة الرأي إنما أتت بها عكرمة على المعنى لقوله في آخر الحديث قال عكرمة أو نحو هذا فلم يخبر بلفظ النبي صلى الله عليه وسلم محققاً.

قال العلماء: ولم يكن هذا القول خيراً؛ وإنما كان ظناً كما بينه في هذه الروايات قالوا ورأيه صلى الله عليه وسلم في أمور المعاش وظنه كغيره فلا يمتنع وقوع مثل هذا ولا نقص في ذلك وسببه تعلق همهم بالآخرة ومعارفها والله أعلم^(١).

الوجه الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبعثه مزارعاً، بل بعثه باهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٥/١٦٦).

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ آل عمران.

" ويعلمكم الخير والشر لتعرفوا الخير فتعملوا به، والشر فتتقوا، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطمعتموه، ولتستكثروا من طاعته، وتجتنبوا ما يسخطه عنكم من معصيته" (١).

الوجه الثالث: ولو قلنا تنزلاً معهم في المناظرة: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد حصل عليه الخطأ والنسيان مرة واحدة، أفيجوز الغلط والخطأ في كل ما قال؟

الجواب: هذا لا يصح شرعاً ولا عقلاً، فإن من تأمل سنة النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة وجدها كلها حكمة ونور وارشاد، فكيف ترجح الكفة الخفيفة بالكفة الثقيلة؟ هذا والذي نفسي بيده لظلم عظيم؛ لأنهم وضعوا الشيء في غير موضعه.

الوجه الرابع: ثبتت عصمة النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله حتى في وقت أشد ما يلتبس على الإنسان عليه الكلام- وهو وقت الغضب-، فعن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريدُ حفظَه، فنهتني قريشٌ، وقالوا: أكتب كل شيء تسمعُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بشرٌ يتكلمُ في الغضبِ

(١) قاله محمد بن إسحاق. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، برقم: ٤٤٦٨، (٣/٨٠٩).

دفاع القرآن الكريم عن السُّنة النبوية الشبهات والردود

والرِّضا، فأمسكتُ عن الكتاب، فذكرتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأوماً بإصبعه إلى فيه، فقال: "اكتب، فوالذي نفسي بيده، ما يخرجُ منه إلا حقٌ" (١).

وإذا ثبتت العصمة هنا غيرها من باب أولى، فعن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إني لا أقولُ إلاَّ حقًا"، قال بعض أصحابه: فإنَّك تُداعِبنا يا رسولَ الله، فقال: "إني لا أقولُ إلاَّ حقًا" (٢).

قال القاري (ت ١٠١٤ هـ) -معلقاً على الحديث-: "قال: إني لا أقولُ إلاَّ حقًا أي: عدلاً وصدقًا، ولا كُلفَ أحدٍ منكمُ قاذِرٌ على هذا الحُصْرِ لِعَدَمِ العِصْمَةِ فيكم" (٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب العلم، باب في كتاب العلم، برقم: ٣٦٤٦، (٤٨٩/٥)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وقال الشيخ الألباني: صحيح. انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢/١)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم: (٦٥١٠)، (٦٨٠٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم: ٨٤٨١، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي من أجل محمد -وهو ابن عجلان-، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين (١٨٥/١٤)، وأخرجه الترمذي في سننه برقم (١٩٩٠) قال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/٤٩٠): "صحيح"، ونقل عن الترمذي قوله: هذا حديث حسن صحيح، والذي وجدته في سنن الترمذي قوله: هذا حديث حسن، انظر: سنن الترمذي، ط: دار الغرب الإسلامي بتحقيق: بشار عواد (٤٢٥/٣).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٠٦٢/٧).

المطلب الثالث: دعوى أن السنة النبوية مخالفة للعقل:

وهذه قضية كبرى لها جذور قديمة من قرون متقدمة، ولها فروع حديثة تظل بأوراقها كل من أراد الاستئلال في طلب الضلال، وهم ينقسمون إلى ثلاثة أحوال:

- ١- نصارى حاقدون يريدون هدم الإسلام^(١).
- ٢- مستشرقون ملحدون يقصدون نقض الإيمان^(٢).
- ٣- عقلايون وهم من ينتسبون إلى بعض أهل البدع كالمعتزلة ونحوهم^(٣). وهؤلاء ليسوا في القصد سواء.

وعمدة الاستئلال عند هؤلاء هو رد الأحاديث النبوية التي تخبر عن الغيب كعذاب القبر والمعجزات المادية كانشقاق القمر ورحلة الإسراء والمعراج وحديث الذباب ونحو ذلك^(٤) بدعوى أن هذه الأحاديث لا تدخل في ميزان العقل، وتعارض التجربة والحس!!
فالنصارى والمستشرقون غرضهم الطعن في الإسلام من خلال تعارض العقل مع السنة النبوية، ومراد أهل البدع تقديم العقل على النقل ولكل وجهة هو موليها.

(١) انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية لسليمان الطوفي (٦٨٥/٢)، ومحاضرات في النصرانية لمحمد بن

أحمد المعروف بأبي زهرة (٩٦)، وكواشف زبوف لعبد الرحمن حَبَنَكَّة (١٨١).

(٢) انظر: معركة النص لفهد العجلان (٦٠/١)، مفهوم تجديد الدين لبسطامي محمد (١٣٣/١)، وصراع مع الملاحدة حتى العظم لعبد الرحمن حَبَنَكَّة (٣١١).

(٣) انظر: الإيمان لابن تيمية (٣٣٩).

(٤) والرد على هذه الأحاديث ليس مرادي في هذا المطلب؛ وإنما أردت الإشارة إلى شبههم وأدلتها، ثم أذكر الرد عليهم بأبرز الأوجه، والله المستعان.

دفاع القرآن الكريم عن السُّنة النبوية الشبهات والردود

قال ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): "ولهذا تجد من تعود معارضة الشرع بالرأي لا يستقر في قلبه الإيمان... ففي الجملة: لا يكون الرجل مؤمناً حتى يؤمن بالرسول إيماناً جازماً، ليس مشروطاً بعدم معارض، فمتي قال: أو من بخبره إلا أن يظهر له معارض يدفع خبره لم يكن مؤمناً به، فهذا أصل عظيم تحب معرفته، فإن هذا الكلام هو ذريعة الإلحاد والنفاق"^(١).

الرد على هذه الشبهة:

يتلخص الرد عليهم في خمسة أوجه كما يلي:

الوجه الأول: أن ميزان العقل - غير دقيق - في فهم هذه الأمور؛ لأن العقل مهما بلغ في درجة النبوغ والذكاء الفطري والمكتسب لا يمكنه أن يصل إلى علم الغيب، والاطلاع على خوافي الأمور؛ لأنه لا يملك القدرة على ذلك، فمثله كمثل من أراد أن يطير في السماء على ناقة عُشراء!!

الوجه الثاني: أن الله تعالى الحكمة البالغة في الإخبار عن الغيب، وإظهار دلائل النبوة بخوارق العادات، وإلا أصبحت من قبيل الممكنات التي يدعي كل واحد من الناس أنه نبي وأنه مرسل من قبل الله تعالى، وبهذا تظهر سنة الله في الابتلاء والاختبار، وإلا لآمن الناس كلهم أجمعون؛ ولهذا أثنى

الله تعالى على عباده المتقين بقوله: ﴿الْمَرَّةَ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) البقرة.

(١) دره تعارض العقل والنقل (١/١٧٨).

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

الوجه الثالث: أن العقل يثبت الاستدلال بأمر ما ويظن أنه على الحق ثم ينتقل إلى غيره مع مرور الأيام والزمّن؛ لأنه إما استدلال بقياس فاسد، أو معنى باطل، أو انتقل من مذهب يظنه أصلح من الأول وإذ به أفسد منه^(١).

الوجه الرابع: إن كثيراً من العقلاء يظنون أن عقولهم تهديهم إلى الحق والصواب وبينما هم في استدلالهم يتبعون الهوى لا الهدى كما أخبر الله تعالى عن الذين حرموا ما أحل الله بعقولهم بغير علم فقد نفى الله عنهم العقل في نهاية الآية.

قال سبحانه: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(١٠٣) المائدة.

قال الشاطبي (ت ٩٧٠هـ): " وإذا ثبت هذا، وأن الأمر دائر بين الشرع والهوى، تزلزلت قاعدة حكم العقل المجرد، فكأنه ليس للعقل في هذا الميدان مجال إلا من تحت نظر الهوى، فهو إذا اتبع الهوى بعينه في تشريع الأحكام. ودع النظر العقلي في المعقولات المحضة، فلا كلام فيه هنا، وإن كان أهله قد زلوا أيضاً بالابتداء؛ فإنما زلوا من حيث ورود الخطاب ومن حيث التشريع؛ ولذلك عذر الجميع قبل إرسال الرسل، أعني: في خطئهم في التشريعات والعقليات، حتى جاءت الرسل، فلم يبق لأحد حجة يستقيم إليها ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ النساء: ١٥٦" (٢).

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١٥٠-١٤١).

(٢) الاعتصام (٦٩-٧١).

دفاع القرآن الكريم عن السنّة النبويّة الشبهات والردود

الوجه الخامس: اعتقد كثير من هولاء أن العقل يعارض النقل، أو أن الذي يتبع ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألعو عقولهم وسلموها بشكل كلي أو جزئي، وهذا غلط ظاهر، فإن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة لا تعارض العقل الصحيح؛ لأن الذي خلق العقول وأنزل الوحي مدبر حكيم واحد ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) الملك. وليس كما قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): "إمش في دينك تحت راية السلطان-أي: سلطان العقل-، ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان..."^(١).

المطلب الرابع: دعوى أن السنة لا تستقل بالتشريع:

يبدن أصحاب هذه الدعوى على أوتار الإنكار؛ وذلك بزعمهم أن السنة النبوية ليس لها مزية كبرى أو فائدة ترجى بُجَاه الدين؛ لأن السنة النبوية لا تستقل بالتشريع الشرائع؛ ولذلك أنكروها، أو أرادوا التشكيك في قوتها، وبالتالي يجز هذا إلى إنكارها ظاهراً أو باطناً، وأصحاب هذه الدعوة هم:

(١) أطواق الذهب في المواعظ والخطب (١٦)، ويقصد الزمخشري هنا التقييد بالنص بحجب العقل عن النظر والاجتهاد، وكلامه هنا ليس صحيحاً، والحق أن الزمخشري - وإن كان من كبار دعاة الاعتزال - إلا أنه لا يقارن بشبهة النصارى والمستشرقين؛ لأنه خدم القرآن والسنة ودافع عن شريعة الله وكتبه ومؤلفاته خير شاهد على ذلك؛ وإنما قصدت الاستشهاد بقوله على فكرة العقل والنقل والله يتولى الصالحين.

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

إما خوارج مارقون^(١)، وإما رافضة زاندة^(٢)، وإما علمانيون يريدون فصل الدين عن الدولة، وأما قرآنيون أنكروا السنة^(٣).

الرد على هذه الشبهة:

يكون الرد على هذه الشبهة من عدة وجوه كما يلي:

الوجه الأول: لقد أمرنا الله تعالى أن نطيع رسوله صلى الله عليه وسلم طاعة مطلقة، وهذا يدل على استقلالية السنة في التشريع، وأنها مصدر من مصادر الشريعة، وإلا لزم أن تكون هذه الطاعة عبث لا معنى لها وبهذا يكفر من قال ذلك -والعياذ بالله-^(٤)، ومن أقر بهذه الطاعة لا بد أن يقر بما جاء فيها، ووردت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة مستقلة في ستة مواضع من كتابه الكريم، وهي كالتالي:

١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ النساء.

(١) انظر: الحاوي الكبير للماوردي (٢٠٤/٩)، شرح مصابيح السنة لابن الملك (١٧٠/١).

(٢) انظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي (٥-٦).

(٣) انظر: تهافت العلمانية للبهنساوي (١٨٣)، وشريعة الله ياولدي لمحمود غريب (٤٤)، وشبهات القرآنيين حول السنة النبوية لمحمود مزروعة (٣).

(٤) انظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي (٥).

دفاع القرآن الكريم عن السنة النبوية الشبهات والردود

٢- ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾

المائدة.

٣- ﴿قُلْ اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ النور.

٤- ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ النور.

٥- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا بُطْلُوا أَعْمَلِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ محمد.

٦- ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾

التغابن.

الوجه الثاني: ولا يلزم من استقلالية السنة في التشريع أن تكون معارضة ومضادة لما في القرآن الكريم؛ وذلك لأن الله تعالى هو الذي أنزل القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم وهو الذي أوحى إليه الحكمة والبيان، وكلاهما وحي من الرحيم الرحمن.

الوجه الثالث: من علامات صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته الباهرة، أنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن من ينكر سنته بهذه الدعوى الباطلة.

عَنِ الْمُقَدِّمِ بْنِ مَعْدِي كَرَبِ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا إِنِّي أُوتِيْتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيْتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْتَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَجِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، أَلَا وَلَا لُقْطَةً مِنْ مَالٍ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

يَسْتَعْنِي عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَفْرُوهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَفْرُوهُمْ، فَلَهُمْ أَنْ يُعَقِّبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَائِهِمْ^(١). قال ابن الملك (ت ٨٥٢هـ): " (ألا): حرف تنبيه. أي: أنبئكم بأن. (يُوشِكُ)؛ أي: يَقْرُبُ (رجلٌ) شعبانٌ على أريكته يقول) لأصحابه: (عليكم)؛ أي: الزموا (بهذا القرآن) واعملوا به، ولا تلتفتوا إلى غيره، وصفه بالسَّبْعِ كنايةً إما عن التَّعَمُّ والغرور بالمال والجاه الحامل على هذا القول بَطْرًا وحماقَةً، أو عن البلادة وسوء الفهم الذي من أسبابه السَّبْعُ، كما فعلت الخوارج والظواهر؛ فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن، وتركوا السُّنَّةَ المبينة للكتاب، فتحيروا وضلُّوا"^(٢).

وهذا الحديث قد نص على جمل من الأحكام التشريعية التي استقلت السنة النبوية^(٣)، وهي:

- ١- تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية.

- ٢- تحريم أخذ لقطة المعاهد إلا الشيء التافه منها.

- ٣- جواز أخذ الضيف من مال مضيفه إن لم يعطيه ما يسد حاجته من الضيافة.

(١) رواه الإمام أحمد بهذا اللفظ في مسنده، برقم: ١٧١٧٤، (٤١٠/٢٨)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، ورواه أبو داود في سننه، برقم ٣٨٠٤، ٤٦٠٤، وقال الشيخ الألباني عنهما: صحيح. انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود للألباني (بدون ذكر للصفحات وإنما برقم الحديث)، ورواه الترمذي في سننه برقم، ٢٦٦٤، وغيرهم.

(٢) شرح مصابيح السنة (١/١٧٠).

(٣) انظر: شرح المشكاة للطبي (٢/٦٣٠-٦٣١)، وتحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي (١/١٣٥).

دفاع القرآن الكريم عن السنّة النبويّة الشبهات والردود

وغيرها من الأحكام كثير^(١).

الخاتمة: وتشتمل على: أهم النتائج التي تم التوصل إليها، والتوصيات، وهي كالتالي:

أهم النتائج:

- ١- تعتمد شبهات منكري السنة النبوية على أمرين:
 - أ- إبطال ارتباط السنة النبوية بالقرآن الكريم. ب- عدم اعتبار السنة النبوية وحياً.
 - ٢- بالاستقراء والتتبع نجد أن الأدلة النقلية والعقلية قد تظافت على أصالة السنة النبوية وحجيتها، وأن الشواهد على ذلك لا حصر لها.
 - ٤- من أصول الرد على الشبهات تطبيق مسلك اللازم والملزوم، فكل شبهة تلزمها أمور ويترتب عليها مسائل تؤدي إلى تجلية الشبهة.
 - ٤- التصور الصحيح لفهم الشبهة يؤدي إلى حكم صحيح؛ لأن النتائج مبنية على المقدمات.

أهم التوصيات :

- ١- هذا الموضوع يحتاج عدة دراسات حتى يستفاد منه بشكل أفضل وهي كالتالي :
 - أ- "منهج القرآن الكريم في الدفاع عن حمى السنة النبوية" دراسة نظرية تطبيقية

(١) انظر: الحاوي الكبير للماوردي (٢٠٤/٩)، وعقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين للدكتور عبد العظيم المطعني (٢٢)، و أصول الدعوة، لمناهج جامعة المدينة العالمية (٢٦٨)، وقد تقدم ذكر بعض التفصيلات عن السنة وحجيتها في التمهيد في أول بحثنا: ص٧-٨.

د. محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بلوش

- ب- "منهج الإمام ابن حزم في نقض الشبهات حول الوحي" دراسة نظرية تطبيقية أو جمعاً ودراسة من خلال كتابه : "الإحكام في أصول الأحكام".
- ج- "مسالك الرد على أهل البدع عند الإمام الشاطبي من خلال كتابه الاعتصام" دراسة نظرية تطبيقية.
- ٢- اعتماد تدريس كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية: "درء تعارض العقل والنقل" في الدراسات العليا، وخصوصاً في المواد التي تتعلق بالدفاع عن القرآن الكريم والسنة النبوية. والله تعالى أسأل القبول والسداد ، وصلى الله وسلم على خير العباد وعلى آله وصحبه إلى يوم التناد.